عرض كتاب: دراسات في الفولكلور التطبيقي الأفريقي، تأليف: سيد حامد حريز

عرض: فرح عيسى محمد

وصف الكتاب:

الكتاب من حيث الوصف، هو من القطع المتوسط. يطرح موضوعه في مائة وثلاثين صفحة. صدر في سلسلة دراسات في التراث السوداني، وهو الكتاب رقم (٤٠). والسلسلة يصدرها معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم. تاريخ النشر ٢٠١٠م. وقد صدرت الطبعة الأولى عن المعهد عام ١٩٨٦ باللغة الإنجليزية بعنوان: *Studies in African Applied Folklore*. وصدرت طبعته الثانية بذات العنوان عن جامعة أفريقيا العالمية عام ٢٠٠٦م منقحة ومزيدة، حيث أضيف إليها فصل بعنوان الفولكلور قاعدة النضال الأفريقي. وهي النسخة التي صدرت عنها هذه الترجمة إلى اللغة العربية والتي بين يدي القارئ. وقد قصد بإصدارها إتاحة الفرصة لقراء العربية من الطلاب والدارسين، الوقوف على أهمية المنهج التطبيقي في الدراسات الفولكلورية على نحو ما أبان المترجم بروفيسور محمد المهدي بشرى.

اشتمل الكتاب في محتوياته على: إهداء، شكر وعرفان من المترجم، ثم تصدير من مدير معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية الجهة الناشرة للنسخة العربية بروفيسور الأمين أبو منقة. وتقديم من رئيس سلسلة دراسات في التراث السوداني الدكتور يوسف حسن مدني. ثم مقدمة المؤلف مترجمة عن النسخة الإنجليزية. ثم تتابعت سبعة فصول هي متن الكتاب الشامل لكل الدراسة. هذا بالإضافة إلى ببليوغرافيا للمصادر العربية وأخرى للمصادر الإنجليزية.

هذا الكتاب:

يناقش الكتاب منهجاً جديداً، يقصد إلى الاستفادة من عناصر الفولكلور في معالجة بعض القضايا الحياتية عبر العناصر المجموعة بالأرشيفات، أو التي تجمع لغرض دراسة تطبيقية محددة. الكتاب شبه معروض في مقدمة المؤلف بصورة مختصرة. وما أقوم به لا يعدو أن يكون محاولة في التوسع بعرض أكثر تفصيلاً.

الكتاب من تأليف بروفيسور سيد حامد حريز، أستاذ علم الفولكلور الذي يعتبر رائداً في الدراسات الفولكلورية في السودان. وصاحب رؤى تجديدية في دراسة الفولكلور. وهو في هذا الكتاب خرج عن المألوف بين الدارسين السودانيين وغيرهم لفترة تجاوزت العقدين من الزمان، حيث كانت محاولاتهم تتناول العنصر الفولكلوري بالمنهج التحليلي لمضامين وجماليات العنصر لغةً وتعبيراً. لقد أخذ المؤلف في دراساته الباكرة بالمنهج التحليلي. ثم تحول إلى المنهج التطبيقي الذي يستخدم العنصر لمعالجة القضايا الحياتية (اجتماعية/ تنموية/ سياسية/ طبية الخ.)، من خلال الموروث الثقافي الشعبي. كذلك من رؤاه التجديدية لفته نظر الدارسين إلى أهمية ربط دراسة أي عنصر فولكلوري بحياة مبدع العنصر، لما في ذلك من أهمية لفهم أعمق للعنصر. وهو بهذا يؤكد أهمية الالتفات للمبدع (شاعر/ راوي الخ.) والذي أهملته الدراسات بتركيزها على النص دونه.

لقد تهيأت ظروف للمؤلف، هي التي ألهمته فكرة تأليف هذا الكتاب. لقد ألم المؤلف بما كان من الجدل بالولايات المتحدة حول منهج الفولكلور التطبيقي، خاصة في المؤتمر السابع والثمانين عام ١٩٦١م، والذي اقترح استبعاد الفولكلور من الزمالات تحت قانون تعليم الدفاع الوطني، من مجلس الشيوخ الأمريكي. وفي عام ١٩٧٠م خصص المؤتمر لموضوع الفولكلور التطبيقي، وقد كان المؤتمر محل اهتمام

كبير، قدمت فيه نقاشات (مع و ضد) الفولكلور. ويبدو أن مؤلف الكتاب بما له من علم عن الفولكلور الأفريقي، خاصة الفولكلور السوداني، أحس بأن منهج الفولكلور التطبيقي يمكن أن يكون ذا فائدة للحياة الأفريقية، فهي حياة حافلة بعناصر فولكلورية قابلة للدراسة بهذا المنهج. بهذه الخلفية فكر المؤلف في إعداد هذه الدراسة الرائدة على المستويين السوداني والأفريقي، وجعل نماذج التطبيق من المجالين السوداني وبعض الدول الأفريقية.

محتويات الفصول:

اهتم الفصل الأول من الدراسة بالنقاش والجدل حول مصطلح (فولكلور تطبيقي). لقد أوضح المؤلف أن المعني بهذا المصطلح شبيه بما تعنيه مصطلحات (علم النفس التطبيقي، الأنثروبولجيا التطبيقية واللغات التطبيقية) أوعلى شاكلتها. كما أشار المؤلف إلى المؤتمرات التي عقدت حول الفولكلور التطبيقي في الولايات المتحدة الأمريكية. ونوه إلى التقدم في تناول هذا المصطلح بجدل كثيف (مناصرة ومعارضة)، خاصة جهود ريتشارد دورسون في المعارضة، وهو لا يعارض المبدأ، ولكن يعارض أسلوب التجارب السابقة في هذا المجال. ثم تحدث عن العلاقة والشبه بين الأنثروبولوجيا التطبيقية والفولكلور. ذكر الكاتب: "ليس هناك خلاف حول جدوى الفولكلور التطبيقي، ولا عن دوره في المجتمعات المختلفة، ولكن يجب التركيز على (من؟ وماذا يفعل؟ وكيف؟)". و تناول إمكانية تطبيق هذا المنهج على الفولكلور الأفريقي، وحالة السودان بصفة خاصة.

ناقش الفصل الثاني الفولكلور والتمدين والتحديث من حيث تأثيرهما على الأجناس الفولكلورية من خلال عوامل: الهجرة الريفية إلى الحضر نموذج الفولكلور في المصنع. لقد أشار إلى اختفاء بعض الأجناس الفولكلورية، مثلاً: (غناء المرحاكة)

في المركز الحضري، في حين صمدت أجناس أخرى مثلاً: (الحكاية الشعبية) في بيئة المركز الحضرية، ثم انتشار التحديث والتمدين في الريف، وتأثير وسائل الاتصال الحديثة.

قدمت الفصول من الثالث وحتى السابع نماذج من الفولكلور الأفريقي عامة والسوداني خاصة، أوضح المؤلف صلاحيتها لتطبيق المنهج التطبيقي عليها. والنماذج التي تناولتها الدراسة هي: التعليم التقليدي في أفريقيا، الآليات الثقافية للتاريخ الشفهي الأفريقي، التنمية، الطب التقليدي وأخيراً أن التقاليد قاعدة النضال القومي في أفريقيا.

كتب المؤلف خلاصات في نهايات الفصول (٣-٧) لخص فيها ما تمت مناقشته في كل فصل. مثال لذلك خلاصة الفصل الخامس الخاص ب: (الفولكلور والتنمية). يقول: "توضح هذه الدراسة أن التحدي الجوهري الذي يواجه صناع السياسة هو إحداث تنمية تنهض على الموارد المحلية وعلى عناصر الثقافة التقليدية. أن التقنية التقليدية توفر دعماً وخطوة إيجابية في ذلك الاتجاه. فالتحدي هو تطوير التقنية التقليدية وليس الاستعاضة عنها بنظام مستورد وجاهز الصنع".

إشادة بالكتاب:

هناك رؤى تشيد بالكتاب، وتثمن عالياً جهد المؤلف. مثلا: أ. د. الأمين أبو منقة يقول في تصديره للنسخة المترجمة: "من الصعوبة بمكان في هذا الحيز الضيق أن نعدد أهمية هذا الكتاب، غير أن القارئ غير المتخصص سيكتشف فيه قصور فهمنا لمصطلح (فولكلور)، حيث كثير منا يختزل المصطلح في دائرة الموروث المتمثل في العادات والتقاليد والأحاجي وما شابه ذلك. سنجد من خلال هذا الكتاب أن الفولكلور حاضر في جميع مناحي حياتنا، يحكي الماضي ويفسر لنا الحاضر

ويشكل الأساس الذي يقوم عليه المستقبل". ذكر كاتب هذه السطور في ورقة قدمها عن دور البروفيسور/ سيد حريز في دعم قضايا الفولكلور بتطبيقه لمنهج (الفولكلور التطبيقي) في دراسة الفولكلور.

ببليوغرافيا الكتاب:

أثبت المؤلف ببليوغرافيا تشير إلى المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في دراسته، منها مراجع باللغة العربية و مراجع باللغة الإنجليزية، ولعل السبب في ذلك، يعود إلى أن منهج الفولكلور التطبيقي كانت بداية نشأته، والحوار حوله في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا، بالإضافة إلى أن الكتاب ألف باللغة الإنجليزية أصلاً، كما أن علم الفولكلور نفسه نشأ هناك وهناك معظم مصادره ومراجعه باللغات الأجنبية، الإنجليزية وغيرها.